

تجليات التابو في المجموعة القصصية "شبه لهم" لزين الدين بومرزوق" مقاربة سردية جمالية

المشرف الأستاذ الدكتور: صالح مفقودة

طالبة الدكتوراه: زهية طرشي

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة -بسكرة- (الجزائر)

Abstract :

Sex, politic, and religion are problematic subjects. They are taboos that raise many questions, and talk about them is often done only in secret behind the closed gates!

In this research, we will try to discover the manifestations of these subjects through the short stories collection "shubbih lahum» by the novelist Zine dine Boumerzouk, which has stood on how the Algerian society deals with the forbidden Trinity in mold that combines between comedy and tragedy.

ملخص:

الجنس والسياسة والدين من الموضوعات المشككة؛ إذ تعد من التابوهات التي تثير مساءلات عديدة، والحديث عنها غالبا لا يتم إلا في الخفاء خلف الأبواب المغلقة!

وسوف نحاول في هذا البحث تقصي تجليات هذه الموضوعات في المجموعة القصصية "شبه لهم" للكاتب "زين الدين بومرزوق" التي وقفت على كيفية تداول المجتمع الجزائري للثالوث المحرم في قالب يجمع بين الكوميديا والتراجيديا.

تمهيد:

في المجموعة القصصية (شبه لهم) حفر "زين الدين بومرزوق" لتقافة جنسية أقصت تابو الحياء المتعل من خلال تنوير الذات عن بعض خبايا الجسد والوجدان المتأصلة في الذات البشرية المتمثلة بثلاثة أجساد بنى عليها الكاتب هيكل النصوص، لدرجة أنه لا يمكن الاستغناء عن أحدها دون الإخلال بنظم القيم المستبطنة في النص.

هذه الأجساد والرغبات النفسية الحاملة وهي موضوع السرد والوصف والاستدكار والاستنباق والاستهام، وموضوع اللغة أيضا، والتي منها يخلق الكاتب تركيبات جديدة بما يتولد من هزات وإيماءات وآهات وتبهيمات أحيانا أخرى، إلى أن تتحول الكلمات والمفردات إلى دبابيس وأجساد، دون وجود فائض في لغة الحوار، وأكثر ما يمتعنا، هو ما ينتجه تخيال المجموعة القصصية عبر مناخات نفسية مختلفة تتقاسم عنصر المفاجأة، وتتضمن فيما تتضمن سخريه بليغة تقوم عليها كوميديا سوداء، إلى جانب نقد اجتماعي مبطن وتأييد للحيات عابرة، وتتلامح الرمزية في المجموعة مع الإفضاء دون أن تتخلى عن خاصية القصة القصيرة جدا: صدمة القراءة وخيبتها وأفق انتظارها لقارئ. قد يسرح في الخيال ويطلق العنان لشبق في داخله، كله إثارة وإغراء، في نص (شبه لهم).

العتبة (شبه لهم) بين الخطيئة والتطهير:

تفاجئ المجموعة القصصية "شبه لهم" قارئها حين تلج بكل جرأة إلى عالم التابوهات¹ المحرمة، وتخترق لغتها المحظورات المغلقة في أحاديث الجنس والمواقف السياسية، ونواميس الدين والأعراف. فمذ البداية توحى توهيمات وتدايعات "شبه لهم" الذهنية إلى أنها ستكون صادمة، ويفتح المؤلف مملقات التالوث المحرم متجاوزا به كل الخطوط الحمراء التي من شأنها الكبت على نفس الإبداع. وعتبة العنوان تخترق كل المفاهيم فلم تقف العوائق الدينية ولا الاجتماعية أمام الكاتب لذلك نراه يبرز معالم جمال الجسد من خلال تحركاتها ولقائها بالمحجوب، فقد وصف جسد المرأة بكل وعي وحرية وتحرك في مكونات الجسد وجوعه (قصة الحبز) وتنقل في منعطفاته، وتضاريسه مارا بكل الانحناءات وتكويرات النهود والأرداف ورشاقة الأيدي وألوان الحدود.

واصطحبنا إلى عوالم فردوسية تفور بالاشتفاء والهيام بدون حظر، فللجسد عند الكاتب أيضا طقوسه الربيعية الملونة بأفراح الانعتاق، وكل الاجساد عنده تتبادل طقس الربيع، وهذا يظهر جليا في الصورة (انعتاق الذات وحرية الدينية مع انعتاق حرية الجسد وروحه وعقله وفكره).

أولا: الجنس حياة في الموت وموت في الحياة:

جعل الكاتب الجسد -في بعده الروسي- حظرا في كل شيء، بل اتخذ منه البؤرة التي تتجلى عبرها الذوات والأشياء التي تكون عالم المجموعة القصصية، ففي جملة واحدة على لسان الوالد

يجعلك تشتم رائحة الجسد،" انظر إليه كيف يعبر عن لحظة التهام الجسد"، فلم تكن لحظة لقاء المحبوت تلك التي يلتقي فيها مع حبيبته إلا لحظة التقاء الجسد بالجسد، كان زمنا لذينا، فقد أحس بكل تفاصيلها، من الجسد وانطلق، وفيه التقت كل الأشكال، فاستوعب سلسلة الأفعال والأوصاف التي أحالت شكل النص إلى قيمة إنسانية هي الأساس الذي قامت عليه اشارات الدلالة وسبل تحقيقها؛ فمن الجسد انتشل الكاتب حركة الحدث، فتمت الدلالة وتناسل السرد وانتشرت التواترات لتنتهي بحرق المحظور الديني والأخلاقي المتمثل بجسد المحبوبة:

لقد خاض القاص بومرزوق زين الدين في الحديث عن الجنس² بشكل خطاب تهكمي حاول من خلاله التطرق إلى ظواهر موجودة في المجتمع الجزائري؛ إذ نجده يورد في "قصة الخبز" ما يفصح عن ذلك، مثل قصة المراهق الذي كان ينتظر لقاء محبوبته متذرعاً بحجة شرائها الخبز كما جرت العادة، ولكن يفاجئنا الروائي "زين الدين" بخطاب ساخر باللغة العامية قال فيه الوالد لابنه:

« وليدي اليوم غداً طعاماً»³. وفي هذا القالب الهزلي رسالة موجهة إلى الشباب مفادها أن المجتمع أصبح على دراية بكل الألاعيب المكشوفة التي يحكيونها في الخفاء حسب ظنهم فحذار حذار. من اللحظات الأولى والكاتب يمسك فعل السرد بيد وفعل الإغراء باليد الأخرى خارقاً كل المحظورات بروح سلسلة، ومنذ البداية لم نر للجسد سكونا، لذلك لم يكن هناك سكونا في السرد، بل العكس. فقد اشتغل الكاتب على توترات الجسد وصراخه وهذيانه كنقطة إشباع لثورة سردية مخفوفة بألغام ثورة استكملت استغاثته وتأوهات الجسد، وهذا واضح من خلال تحولات الأنتي، محور المجموعة القصصية، وتصاعد صراخ الحاجة الجنسية أمام المحظور.

- نبوءة المطر والإخصاب (قصة الزهرة) :

لم نشاهد لحظة استرخاء لا في جسد المرأة ولا جسد الشاب ولا حتى في جسد المطر. كان كل شيء يهطل من خلال المزاريب رائحة المطر، الربيع، الحياة، الإخصاب الولادة كلها تشير إلى فعل أنتوي متفتح.

زهرة ← دلالة لا نهائية في تقديم فعل أنتوي صارخ برائحة الإخصاب والتورود ورائحة الجسد، وجسد المرأة الغض، الذي كان هو الشخصية الرئيسية التي تتحد فيها وعبرها كل التحولات التي تقطن النص، وما يمنح النص قوة، هو قدرة تعامله مع المحظور بكل وضوح، فنحن نعرف أن الحركات والإيماءات عندما تقع داخل دائرة المحظور والممنوع والمحرم، الذي يخدش الحياء، فإنها تتحول إلى شكل دلالي رمزي ويكون الكاتب قدرة رهيبية في توظيف استعارات منوعة، إلا أن الكاتب في نص الزهرة، وهذه إحدى مزاياه، يخلق طاقة وصفية داخل البناء القصصي تقود إلى فعل ينزع منها بعدها الرمزي، ويجعل منها، عنصراً يدرك باعتبار حقيقته لا باعتبار مجازة.

لذلك فإن الغريزة الجنسية في نص الكاتب كانت هي الممر المباشر نحو نقل الوضعيات من حالتها البسيطة إلى حالتها المركبة في إنتاج دلالات تستوعب الفكرة ضمن بنية حقيقية واحدة؛ حيث يستعين "زين الدين بومرزوق" بـرمز الزهرة في القصة الثانية الموسومة "الزهرة" التي تحمل في طياتها حديثاً عن التزيين، فصل الجمال و التكاثر، هذا العنوان الذي آثت لقصة شاب أراد أن يكمل نصف دينه؛ لكن المهر الذي اشترطه أهل العروس أكبر من مقدوره، وكذلك هو حال شباب اليوم الذي يقف عاجزاً أمام تكاليف الزواج، ثم يعلق واصفاً الحب بالمطر؛ إذ كلاهما يؤرقانه، ويزيدان من مرضه وسهره في ربيع العمر. في رؤية جسدية جنسية مستمرة.

- الهجرة إلى الداخل وأحلام النوات المنوعة (الطاكسفون والرمانة) :

المشهد الجنسي داخل المجموعة القصصية يتحرك بوتيرة تصاعديّة، على هيئة مجموعة من الصور الفوتوغرافية والمشاهد السينمائية في صور مجسمة صغيرة وكبيرة تفصيلية وعامة، وظف فيها الجسد نصوصاً تتسربل على الملامح وتضاريس البدن، من انسداد الشعر حتى أطراف الأصابع من صوت أنثوي في غرفة الهاتف إلى صوت الطفل الذي جعل من الأثني قطعة مستهلكة من أدوات المنزل، محجوزة ضمن زوايا الخدمة، وجاهزة لاستهلاك الرجل وتلبية رغباته. في ضعف واستكانة.

هي قصة أخرى تدلف إلى الحديث عن المصير المؤسف الذي آلت إليه كثير من الفتيات في هذا الزمان بعدما يقعن في شرك الحبيب الغادر، ولله در أحمد شوقي حين قال:⁴

خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَناء	وَالغَوائي يُغَرِّهُنَّ النِّشاء
أَثَرها تَناسَتِ اسمي لَمّا	كَثُرَتِ في عَرامِها الأَساء
إن رَأَتني تَميلُ عَتي كَأَن لَم	تَكُ بَيني وَبَينَها أَشياء
نَظَرَةٌ قابِيسامَةٌ فَسَلامٌ	فَكلامٌ فَمَوعدٌ فَلِقاء
فَفرأقُ يَكُونُ فيهِ دَواءٌ	أوَ فِراقُ يَكُونُ مِنهُ الداءُ

كذلك هو الحال مع فناة قصة "الطاكسفون والرمانة" التي تلاعبت بها أمواج الحب الهدّارة لتتركها في نهاية المطاف تدفع الثمنَ وحدها. وفي هذا تحذيرٌ مغلظ للهجة موجه إلى الفتيات اللائي لم يأخذن العبرة من غيرهنّ، ولم يحفظن الدرس الذي قرأه عليهنّ المجتمع منذ نعومة أظفارهنّ، يقول القاص في هذه القصة: «ما أخبرتُها أنّها حُبليّ، حتّى اشتاق البحر للقائهما... تترجته أن تراه فقط لفك الرّمانة».⁵

ف نجد أنّ صورة من خلال خرق هذا الحرام، ليس ذاك الذي يشكل المرأة الحلم التي تحترق مع الرجل كلّ الضوابط الاجتماعية الثورية على السائد، والتي من شأنها أن تطور الفاعلية الاجتماعية والسياسية، والثقافية فصورة الأنثى هنا في دلالتها الأولى تتعلق في صورة الأنثى في ثورتها، وقردها، ورفضها كما يرفض الكاتب الاستكانة والرضوخ لتقاليد كتابية كلاسيكية.

- الحب الزافض وحنز المنفى (عيون بأسة) :

ولعل المنبوع للمتن السردى العربى سىجد أن راهن الرواية العربية قد قفزت فقرة نوعية فى التعامل مع الثالوث المحرم، هذه الفقرة التى جاءت فى إطار نقدى للواقع، واستطاع بعض الكتاب تخطى ذواتهم فى الكشف والاختراق، ويكفى هنا أن نذكر "كوليت خورى"، و"نبيل سليمان"، و"عادة السمان"، و"الزراوى أمين"، و"واسيني الأعرج"، و"رشيد بوجدره"، و"ياسمينه خضرة"، و"أحلام مستغاني"، و"ميرال الطحاوى"، و"حيدر حيدر محمد شكرى" وآخرون.

ما ذكرت من الكتاب وغيرهم اخترقوا المشروعية وأسسوا لمجالات إبداعية كتابية مختلفة أخرى أكثر حرية، وأكثر صدقا مع الذات، فى إطار اعتناق هذه الذات، وفى الوقت نفسه استطاعوا كما استطاع غيرهم أن يحرروا اللغة السردية ذاتها، تلك اللغة التى التصقت عبر مسيرة الرواية العربية فى البدايات بالمحمول الذى لا يسمح مطلقا بتحقيق عملية الاختراق.

ولعل المعركة التى خاضها هؤلاء الكتاب ضد المسكوت عنه هى معركة كما قال الحبيب السائح فى مواجهة ذاك الذى من شأنه أن يقرم فضاء الورقة فضاء الذاكرة والتاريخ، وأضيف فضاء إنسانية الإنسان وحرية.

فى قصة (عيون بأسة) أيضا يحكى لنا "زين الدين" عن فتاة تلاعبت بها الأقدار فلم تجد غير القمامة مأوى لها بعد أن صدقت أكاذيب الذنب حين قال لها: «تَرْوَجِينِي نَعِيشْك La vie وتَمَلِكِي الدُّنْيَا»⁶. وفى هذا الخطاب الذى أورده باللهجة العامية نستشف مدى رغبة "زين الدين" فى تقريب الصورة إلى الفتاة المراهقة البسيطة التفكير، يقول: «لَأَمَّا نُحْيُهُ مَنَحْتُهُ عُمَرُهَا، فَتَصَاعَفَ عُمَرُ أَنْظَارِهَا»⁷، كما يحاول أيضا أن يشير إلى العذاب الذى تقاسيه المرأة فى رحلة انتظار وعود الرجل الكاذبة التى لا تتحقق. وكما جاءت اللغة فى المجموعة القصصية واضحة دون مواربة فى خرقها للحرام الاجتماعى والدينى والسياسى، كذلك كان الأمر فى هاته القصة، ولئن توصلت لغة المفارقة والتريز فى سخرية بليغة، ما يمكن أن نسميه شاعرية اللغة، فإن الكاتب توصل اللغة البسيطة النابعة من الواقع الجزائرى فى مفردة (عيون بأسة) الموحية بصراخ جنسى رهيب عن استسلام فاغر ووهن مستمر.

- الوصل فى (كلمات) :

الكاتب "محمد صلاح العزب" يرفض تقييم الأدب أخلاقيا أو تقنيته من الجنس، لأنه مؤكدا أن الكاتب يملك الحرية فى طرح ما يراه مناسبا بالشكل الفنى الذى يريته. ويعترض "العزب" على استخدام سلطة التصنيفات أو المصطلحات لوضع الكاتب فى إطار الأدب الجنسى أو الإيروتيكى وبالتالى إرهابه ومنعه من البوح بما يريد.

و فى المجموعة القصصية وردت هذه القصة جملة واحدة هى: «صَدَّقَتْ رَسْمَ كَلِمَاتِهِ، ضيَعَتْهُ فى ألوان قويس قزح»⁸. وفى هذه القصة استكمال لقصة "العمر" أين تهدر المرأة ربيع عمرها هباء

منثورا في زيف الكلمات الملونة والمتممة. مع وصف للحالة الجسدية و المتعة الذاتية الملونة هي في الحقيقة تحرير الوعي الإنساني من قيود اجتماعية وسياسية...تكتله، وهو ما يؤكد الكاتب في سرده القصصي أن الكتابة لا تتمتع بشروط جاهزة وألا سقف لها، فالكتابة الحقيقية لا تعرف التابوهات، لكن لا بد من أن تأتي في إطار الفن التراقي الذي يوظف الألفاظ البديئة في مسارها الصحيح ضمن بنية العمل الأدبي. حيث كلمات مفتوحة على دلالات نبوية جديدة.

- الأنثى واقعية سرالية (معادلة) :

بحاول القاص في هذه القصة⁹ (المعادلة) أن يتحدث عن محاولة المرأة تحقيق المساواة مع الرجل؛ لكنه يُذكرها دوما بأنها أضعف وأقل منه فله أحقية الريادة عليها، وهنا يشير "زين الدين" إلى ترمد المرأة التي تحاول أن تدوس على الرجل لكي تحقق مآربها، وتثبت مكانتها جزاء له ونكايه فيه؛ لأنه يتجاهلها ويحتقرها، وينتقص من قدرها.

- الكبيرة والصغيرة :

يتناول "زين الدين بومرزوق" في قصة "الكبيرة والصغيرة" ظاهرة التحرش الجنسي داخل المؤسسات، وكيف يغيب الضمير والخوف من الرقيب عند أصحاب الأنفس المريضة في حضرة الأنثى؛ فيقول: «إنهبر بجالهنّ وحضورهنّ أخذ الكلمة وردّد: سأكتفي اليوم معكم بحسابتكم على كباركم»¹⁰. وفي هذا تلميح إلى غضّ البصر عن الأمور الصغيرة المخفية التي يقال عنها، وما خفي كان أعظم.

هنا في تيمة الجنس يبدو أنّ القاص تحدّث عن المرأة باعتبارها ضحية، وتهجم على الرجل بعدّه الجلّاد، ولكن بطريقة غير مباشرة؛ حيث حاول تقديم النصائح للمرأة بكلّ الطرق لعلها تصحو من غفلتها وتستفيق من سباتها.

كذلك هي الأنثى ضحية مايقدمه المجتمع لكنها تريد إثبات ذاتها وحضورها كما حدث في قصص الكاتب "زين الدين" الأنثى الضحية تريد إثبات وجودها وقيمتها وجسدها وعقلها كما الكتابة في تابوهات المجتمع تماما هي معادلة حقيقية في تفاصيلها الصغيرة والكبيرة.

ثانيا: المكبوت السياسي :

يرفض الروائي "يوسف زيدان" رئيس مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، الحاصل على "بوكر الرواية العربية" بروايته المثيرة للجدل "عزازيل"، اعتراف الثقافة العربية بوجود تابو أو مقدس ينتهك إبداعاتها، وقال "زيدان" :إنّ الثقافة العربية لم تعرف هذه الممنوعات، حتى بعد أن خرجت الكلمة من معناها الأصلي إلى استخدامها الدلالي كعائق أمام الفكر مشيرا إلى أن التابوهات الثلاثة، الجنس والدين والسياسة غير موجودة في الفكر العربي الممتد إلى 1500 سنة مضت على أقل تقدير.

صدمة العنونة في (السؤال) اللامعقول :

في القصة المعنونة "بالسؤال" يُسلط القاص الضوء على فكرة المسكوت عنه في السياسة،¹¹ وهنا يجدد الفضاء التلفزيوني الذي يعدّ أحد المنابر الخاضعة لسلطة "التابو"؛ حيث يجاسب كل من يظهر في التلفاز على أقواله، وهذا ما يصوره لنا الروائي قائلا: «سأله منشط الندوة حول رأيه في الحراك الديمقراطي. بسمل، ودعا، وارتجى الخير لكل الأمة. ثم ردّد ذكرني بسؤالك من فضلك».¹²

وهنا نلمس تهزّب الضيف من الإجابة عن السؤال السياسي الذي طرحه المنشط مخافة العقوبات التي ستتحقق به من الأيدي الحقيّة!

المحرم والمقدس والمحظور والممنوع إلى آخر القائمة يختصرها في الإنجليزية مصطلح "تابو"، والتابو هو الحديث أو التعبير أو الإحساس الذي لا يسمح لك المجتمع أو العائلة أو السلطة السياسية أو الدينية بتداوله أو الخوض فيه، لأنه - من وجهة نظر السلطة- يتسبب في المساس بمقدسات ورموز وقيم لا يصح المساس بها، لأنك لو خضت فيها فإنك ستكسر تصورا معيتنا حرص هذا المجتمع لسنين طويلة على إيقاضه!

تحت هذا الإشكال الكبير دارت معارك سياسية ودينية وثقافية طاحنة على امتداد العالم، ومنذ قرون طويلة ومازالت، دفع منها كتاب وفلاسفة ومفكرون، وحتى السياسيون الذين يتهمون بصناعة أوهام التابو، دفعوا الثمن أحيانا. ألم يجبر الملك (إدوارد الثامن) على التنازل عن عرش بريطانيا عندما كسر (التابو) وتزوج من الليدي وأليس سمبسون؟ كل هذا يصطدم بسؤال القاص "زين الدين"؟

والفكرة نفسها مبسطة في قصة (الظل)؛ حيث تظهر بعض الشخصيات التلفزيونية، وخصوصا السياسية التي تبدو مثل دمى تحركها أيادٍ تعمل في الخفاء؛ حيث يقول القاص:

«دقت ساعة البث، ساد الصمت... صرّخ أنا هنا... هناك، ستتحرك يدي لتعرفوني».¹³ وفي هذا تلميح إلى بعض الشخصيات التي تمثل الواجحة بينما تحركها سلطات أعلى منها فتبدو كالظل.

وما نستشفه من قصة "شبه لهم" هو تصوير لحظات الانتخابات التي تكبر معها آمال المواطن البسيط في أنّ المرشح الذي اختاره ليمثله سيحقق أحلامه؛ ولكن ما يحدث هو أنّ جميع تلك الوعود تذهب أدراج الرياح، يقول القاص في هذه القصة: «أول ضحايا صندوق الحب، يسقط عند نهاية الاقتراع»¹⁴؛ أي أنّ جميع الوعود التي مني بها المواطن سينكث بها بعد نهاية الانتخابات، وهذا هو الحال في أغلب الأوقات.

ويحاول "زين الدين" أن يناقش قضية كذب المرشحين قبل الانتخابات، ونكرانهم للجميل الذي أسداه إليهم من أوصلوهم إلى كرسي السؤدد بعدها، وذلك ما تحيل إليه القصة المعنونة بـ: "التمثيل"، ويتجلى ذلك في قوله: «كما طلب منهم: اختاروا ممثلهم، لينقل هموم قريتهم التائية...رافقوه إلى أن الحافلة، غادرت إلّا أن انتظارهم تبدّد بعد أن تم تعيينه في منصب مهم».¹⁵

كما يشير الروائي هنا في قصة "المحرقة" إلى "الهولوكوست"، وهو مُصطلح أطلق لوصف ما قيل بأن النازيين ارتكبوه حين أبادوا عددا كبيرا من يهود أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية في الفترة الممتدة من سنة 1941 إلى سنة 1945 عن طريق حرقهم في أفران الغاز، وقد وُظف هذا الموضوع بعد ذلك ماديا ومعنويا واقتصاديا لدعم الكيان الصهيوني في مجمل خطته وحروبه الإجرامية.¹⁶ حيث يُتَوَّه القاص من خلال حديثه عن الهولوكوست إلى الأراضي العربية التي تحترق، وفي هذا تلميح إلى فلسطين التي انتهك اليهود حرمتها، وداسوا مقدساتها، وأسالوا فيها الدماء أنهارا تحت طائل خزعبلات باطلة لفتها لهم حاخاماتهم مستمدين إياها من كتابهم المحرّف؛ حيث يزعمون أنّ ألواح التوراة مدفونة تحت المسجد الأقصى، وهذا ما يقوله القاص: «أصمّته تواتر الفتاوى المرسلّة...أدرك أن مدينة عربية تحترق».¹⁷

وتهاوى (الحدود) في استغائة الشعب الفلسطيني أيضا تمّ تطويقها، وفوق الحصار النفسي التي سلّطه المحتل عليهم فرض عليهم حصارا سياسيا عن طريق تضيق الحدود عليهم وقطع صلّتهم بالعالم من خلال غلق "معبّر رخ" الواقع بين قطاع غزة ومصر الذي يعد المنفذ الوحيد للشعب الفلسطيني وهمة وصل له مع العالم الخارجي، وهذا ما حاول القاص تصويره حين قال: «منعوه بالقوة لأن الحدود مغلقة بسبب الحرب والدمار والموت».¹⁸

ثالثا: الدين طريق إلى الإيمان:

عندما كسر الكتاب والروائيون التابوهات المقدسة في الأدب منعت كتبهم وأحرقت، بل ونفي بعضهم واتهموا بالكفر والزندقة، وقد كان هذا القانون سائدا قديما في عصر الخلافة الإسلامية "الحلاج الغفري"، "ابن سينا"، "أبو العلاء المعري" وفي نفس كثير من دول أوروبا، إضافة لذلك منعت كتب من التداول في أكثر من الدول حرة كالولايات المتحدة مثلا (منعت رواية عناقيد الغضب لجون شتاينبك) لأنها تسيء لسكان بعض الولايات مثلا، كما منعت كتب في إسبانيا فترة الثلاثينيات لأنها تحدثت عن جريمة قتل الشاعر لوركا، وفي جنوب إفريقيا منعت روايات كسرت "التابو" وتحدثت عن نظام الفصل العنصري في سنوات هذا النظام والقائمة تطول !

فكسر "التابو" لا يقصد به الحديث في المحرم الأخلاقي فقط، فمن يقرأ في قوائم الكتب المحظورة عبر التاريخ يجد أن التابو السياسي يتفوق على الديني بكثير، والسبب له علاقة بطبيعة النظام السياسي السائد، وفي هذا تحديدا تحضر روايات "جورج أوريل"، التي منعت في الإتحاد السوفيتي؛ لأنها تتناول شخصية الديكتاتور رواية "مزرعة 1984، ومزرعة الحيوان" وأحيانا بسبب سوء التفسير وضيق أفق الرقيب، وهذا ما تعني منه الثقافة العربية راهنا "رواية وليمة لأعشاب البحر نموذجاً، أولاد حارتنا لنجيب محفوظ" أما أغرب الكتب التي منعت مؤخرا في لبنان تحديدا فكان رواية "شرفة دافنشي" لبان براون، والتي تحولت لفيلم سينمائي عرض في كل مكان.

الدين يعني الطاعة والانقياد والخضوع، وهو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا وعمليا. وفي الاصطلاح الشرعي الإسلامي هو الاستسلام والتسليم لله بالوحدانية وإفراده بالعبادة قولا، وفعلا، واعتقادا حسب ما جاء في شريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في العقائد والأحكام، والآداب، والتشريعات، والأوامر والتواهي، وكل أمور الحياة.¹⁹

التعاون:

لقد استدعى "زين الدين" بومرزوق في قصة "التعاون"²⁰ قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة/2) حتى يصور لنا واقع المجتمع الإسلامي الذي أصبح يؤزل آيات القرآن الكريم بما يتناسب وحاجاته، ويحقق رغباته ومصالحه؛ حيث صار أفرادهم يتخذون من الغش في الامتحان ضربا من أضرب التعاون الذي دعا إليه الإسلام، وهذا أتموزج عن التلاعب والالتواء المنتسّر تحت عباءة الدين في كثير من مظاهر المجتمع المختلفة.

كما نجد أنّ القاص قد رسم لنا في قصة "شبه لهم"²¹ مقتل الرجل الذي ظلّ ينتظر حبيبته أمام مركز الاقتراع، حيث كانت نهايته أن مات مقتولا؛ لأنه شبه لهمّ أنه إرهابي، وهنا يتجلى التناص الديني مع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء/157)

أي اعتقدوا أنّهم قد صلبوه، والملاحظ أنّ المعنى المستوحى من جملة "شبه لهم" في الآية تشير إلى أنّ الله عزّ وجلّ ألقى شبه المسيح على غيره، وقيل: إنهم لم يكونوا يعرفون شخصه، وقتلوا الذي قتلوه، وهم شاكون فيه،²² أما في القصة فتحيل جملة "شبه لهم" إلى أنّ الأمر اختلط عليهم فظنوا أنّه إرهابي بسبب تصرفاته فقتلوه لمجرد الشبهة. وفي هذا المقال نلغي انزياحا صرفيا بين التص القرآني والنص القصصي؛ حيث انتقل معنى الجملة من علاقة الشبه إلى الاشتباه.

وفي قصة الإخوة نلمس نهل القاص من معين المنبع الديني، من خلال الاستناد إلى قصة النبي يوسف وما عاناه من كيد إخوته له؛ إذ نجد زين الدين بومرزوق يوظف معاناة شاب مع إخوته غير الأشقاء وحسدهم له بسبب تفضيل الأمّ له عليهم، وفي هذا التوظيف الذي قال فيه "زين الدين" : « كيف يخلو لنا وجه أمنا إته الأحب إليها منا »²³. نلمس انزياحا دلاليا مع ما ورد في قوله تعالى: ﴿

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (يوسف / 9-8).

حيث انتقل المعنى من الغيرة على الأب إلى الغيرة على الأم، وربما يعود ذلك كونها الأكثر قدرة على إثارة فتيل الفتنة بين الأبناء في المجتمع العربي خصوصا.

الساحرة:

ومن جهة أخرى نلاحظ استحضارا للنص القرآني في قصة الساحر²⁴، والتي يبدو من خلال عنوانها أنها تحيلنا إلى الآيات التي تتحدث عن معجزة من المعجزات التي أيدها المولى عز وجل نبيّه موسى في قوله: ﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ خُرَجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ (طه/ 22) التي تتقاطع مع قول الروائي في قصة الساحر « أدخل يده في جيب أحدهم لتخرج بيضاء للتاظرين»،²⁵ وهنا نجد انزياحا دلاليًا؛ حيث إن الآية الكريمة تشير إلى أن موسى أدخل يده في جيبه، والقصة تقول أن الساحر أدخل يده في جيب أحدهم؛ أي إن الساحر لا يريد أن يكشف عن نفسه؛ بل يستعين بشخص مجهول لتضليل الناس وإخفاء حقيقته عنهم.

الدينا:

كما نجد زين الدين بومرزوق في قصة الدينا يستحضر النص القرآني ممتثلاً في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِبِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف / 4)، فتأتي القصة المعنونة "الدينا" لتقول بداية « هم أحد عشر»²⁶، وفيها نلمح تناصاً دينياً؛ لأن أحد عشر كوكبا في الآية الكريمة هم إخوة يوسف، وأحد عشر في القصة ما هم إلا أولاد شخص عادي آثرهم والدهم على نفسه في صغرهم، وحنّ عليهم وأكرمهم وصرّف سنين عمره من أجل رفاقتهم وراحتهم، ثم يصوّر لنا الروائي بأسلوب متميز الحالة التي آل إليها الوالد بسبب أولاده الذين جرحوه وآذوه إلى درجة أن عينيه ابيضتا من الدمع نتيجة عقوبتهم له وتكرّمهم للجميل، وهنا استحضار للنص الديني، من سورة يوسف في قوله تعالى على لسان يعقوب: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ

يٰٓأَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف / 84).

كما حاول "زين الدين بومرزوق" أن يتحدث عن الغيبة والنميمة التي تفتشت في المجتمع بشكل واسع خصوصا في المآدب والولائم، وفي هذا الإطار يقول القاص في قصة "الوليمة" «أحسوا بالجوع فأكلوا لحمه من ورائه».²⁷

وقد نهى المولى عز وجل عن إتيان هذا الخلق لما فيه من إسقاط لسمعة الناس وتوهين لشخصياتهم وإذكاء لنار العداوات وتجريء على المعاصي، وإشاعة للمنكرات وافتضاح في الدنيا والآخرة،²⁸ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ

أَخِيهِ مَيْتًا فَكْرِهُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات/12).

وهنا يوفى "زين الدين بومرزوق" في توظيفه للمناسب الديني الذي يتناسب مع معصية الغيبة والنميمة التي نزلت هذه الآية القرآنية الكريمة لتنتهي عن إتيانها.

رد الجميل :

في قصة "رد الجميل" حاول القاص أن يشير إلى تنصل المسؤول من المسؤولية الموكلة إليه من طرف الأشخاص الذين نصبوه، متحججا بأنه إنسان لا حول ولا قوة له مسوعا لضعفه بقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ ۗ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۗ أَحَدًا ۗ﴾ (الكهف/110).

وقد استعان القاص بجملة المسؤول « ما أنا إلا بشر»²⁹ للتدليل على الضعف وتسليم الأمور إلى الله عز وجل، وهذا ما أشار إليه المولى عز وجل في خطابه لرسوله الكريم صلى الله عليه

وسلم في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي «إنا أنا بشر مثلكم مني علمي إلى حيث يوحى

إلي». ³⁰ ولكن المسؤول قال هذه الجملة ليتبرأ من المسؤولية والواجب ويخص الناس حقوقهم؛ بينما أراد الرسول الكريم أن يوجه الناس إلى المعبود بحق الله الواحد الصمد، معترفا بأنه لا علم له إلا ما علمه الله عز وجل.³¹

يمكن القول إن الروائي استند إلى المرجعية الدينية ليشير إلى تي عنق النصوص التي يلجأ إليها مرضى القلوب الذين يخللون ويحزّون في الدين وفق ما يخدم أهدافهم ويرضي أهواءهم ومآربهم الدينية.

خاتمة :

القص والكاتب "زين الدين بومرزوق في أسئلته الحارقة وطبواهاته المستمرة، يفترض انسيابا مشحنا بطواير انفعالات بعضها مسموح به، وبعضها ممنوع حتى بالنسبة لذاكرة معزولة لم تعد قادرة على هضم كائنات الإثارة، وعلى الرغم من أن طرح مفردة (التابو) سيعني إدراجها تفعيلا لمتخيلات إنتاجية لمسألة التراكبات الجدلية ضمن أوعية دلالية متعارف عليها، على الرغم من صعوبة (صدق المصطلح) نفسه، بين تكونات المضر بقسوته التشريحية وأنيابه الاستهلاكية مع كل ومضة أشجار يتم إقصاؤها من المشهد دفعة واحدة، ورغم أننا لم نتفق حول مكان/خارطة الانفتاح المقصود، ورغم أننا مشمولون بقرار الوظيفة التأويلية من أركان اليومي والمهمش والحديسي ككلّ العاطلين عن الكراهية والديسيه، رغم غموض السؤال؛ لأنه غامض، فإننا سنفترض إجابات مفتوحة الدلالات كذلك.

أمام المبدع العربي اليوم تحديات كبيرة وكثيرة، ومنها قبل كل شيء تمكنه من خوض العالم ومواجهته بشفافية وقلة عصبية. بالإضافة إلى هذين الأمرين، قد نحب أن نرى المبدع العربي قابلا لمواجهة كل ما كان يعتبره "تابو" في مقابل رغبة هدمه. كما ننتظر منه حرية في التفكير والحركة، وحرية أن يقول ما يريد ضمن أطر النقاش الهادئ والعقلاني، لا ضمن العصبية العمياء والإنفعالية الركبكية. وقبل كل شيء أيضا: أن يقبل بأن يكون هو موضوع انتقاد من أي كان، بل أكثر من ذلك، أن يبدأ بانتقاد ذاته بكل جراءة؛ فبدون هذه الجرأة لن يشكل أي فرق، لأن المبدع العربي اليوم والأمس يعيش صراعا، بين الحياة التي أمضاها تحت حكم الطاغية والحياة التي يواجها بكل حرية اليوم. إنه حقا يواجها لأن في الحرية مسؤولية بينما في الديكتاتورية اتكالية، وفي الحرية صعوبة مواجهة الذات ومواجهة العالم.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- التابوهات جمع "تابو" وهي كلمة بولينزية تعني من جهة: مقدس ومبارك، ومن جهة أخرى تعني: رهيب وخطير ومحظور، والمحظورات التابوية تفتقر إلى أي تعليل، ولا يعرف لها مصدر، وهي غير مفهومة بالنسبة لكثيرين، في حين تبدو بديهية لمن يقعون تحت سلطانها، وأشهر التابوهات هي الثلاثي المحترم (الجنس، الدين، السياسة). ينظر: سيغموند فرويد، الطوطم والتابو، تر: بوعلی ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1983م، ص: 41.
- 2- الجنس غريزة في الإنسان مثل غيرها من الغرائز التي تتحكم به، والتي أهمها الأكل والنوم، وكل هذه الغرائز تهدف إلى غاية واحدة هي بقاء حياة الإنسان على الأرض. وتصنف غريزة في الدرجة الثانية بعد غريزة حب البقاء التي تحتل المرتبة الأولى في حياتنا وليس معنى هذا أنها ضعيفة السيطرة علينا؛ بل هي تأتي بعد غريزة حب البقاء مباشرة. ينظر: مجموعة من الأطباء وعلماء النفس في العالم، كل شيء في الجنس، مكتبة شوقي، القاهرة، د. ط، د.ت، ص: 3.
- 3- بومرزوق نور الدين، شُبه لهم، قصص قصصية جدًا، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2014، ص 17.
- 4- أحمد شوقي، الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، د. ت، ص: 112.
- 5- بومرزوق زين الدين، شُبه لهم، ص: 21.
- 6- المرجع نفسه، ص: 27.
- 7- نفسه، ص: 38.
- 8- نفسه، ص: 41.
- 9- نفسه، ص: 47.
- 10- نفسه، ص: 52.
- 11- تستعمل السياسة في اللغة مصدرا لساس يسوس، وتطلق بإطلاقات كثيرة، يدور معناها في فلك القيام على الشيء وتديره، والتصرف فيه بما يصلحه، أما اصطلاحاً فتعرف بأنها رعاية كافة شؤون الدولة الداخلية، وكافة شؤونها الخارجية، وتعرف أيضاً بأنها سياسة تقوم على توزيع النفوذ والقوة ضمن حدود مجتمع ما. ينظر: عبد العال أحمد عطوة، المدخل إلى السياسة الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1414هـ-1993م، ص: 13.
- 12- بومرزوق زين الدين، شُبه لهم، ص: 13.
- 13- المرجع نفسه، ص: 15.
- 14- نفسه، ص: 23.

- 15- نفسه، ص: 33.
- 16- ندى الشقيفي، الهولوكوست حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، باحث للدراسات، ط1، 2011م، ص: 110-111.
- 17- بومرزوق زين الدين، شُبهَ لهم، ص: 40.
- 18- المرجع نفسه، ص: 55.
- 19- ينظر: محمد عبد الله وراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ص: 30.
- 20- نفسه، ص: 19.
- 21- نفسه، ص: 22.
- 22- ينظر: القرطبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، تخ: عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م، 211/7.
- 23- بومرزوق زين الدين، شُبهَ لهم، ص: 26.
- 24- المرجع نفسه، ص: 30.
- 25- نفسه، الصفحة نفسها.
- 26- نفسه، ص: 45.
- 27- نفسه، ص: 51.
- 28- سيد عبد الله الغريفي، الغيبة وباء اجتماعي مدمر، لجنة الغريفي الثقافية، ط1، 1430هـ-2009م، ص: 8-10.
- 29- بومرزوق زين الدين، شُبهَ لهم، ص: 57.
- 30- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق الأندلسي ت 586 هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تخ وتع: الرحالة الفاروق وآخرون، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط2، 1428هـ-2007م، 669/5.
- 31- ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 1430هـ-2010م، 378/8.